

فتش عن المرأة

فتش عليها

- ١ -

كما ذكر كاتب عربي في كتاب او صحيفة هذا القول : «فتش عن المرأة» عزاه الى الافرنج او الى الفرنسيين منهم . والقوم الغربيون - وفضل الناضل لا يجحد - قوالون فعالون ومخترعون . ومن لا يسهم في هذا الشرق او في بلادهم وعرفهم جيداً - انخبنهم معرفة - لا يستعجب من أقوالهم وأعمالهم . والعرب تقول : «الشيء من معدنه لا يسفرب» ولكن ذلك القول قد قالته العربية منذ القديم ، وانتظمه شعرها . فان ينسب الأديب العربي اليها أولى وأحق بل أصح وأصدق . ولن تقول : ان الغربية قد اخذته من العربية ، فالمرأة في الشرق هي المرأة في الغرب . - يا أخا العرب - ما تبدل طبع ، ولا تحولت غريزة . وان حالاً أوحى الى شاعرنا (المتنبي) او المتنبي كما تلقبه اخواننا المغاربة ان يقول :

اذا غدرت حسناء أوفت بعهدا ومن عهدا ألا يدوم لها عهد^(١)
وان عشقت كانت أشد صباية وان فركت فاذهب فما فر كها قصد^(٢)
وان حقدت لم يبق في قلبها رضي وان رضيت لم يبق في قلبها حقد
كذلك أخلاق النساء وربما يضل بها الهادي ويخفي بها الرشد^(٣)

هي الحال التي تلهم الأديب الغربي مثل مقال العربي .

(١) حيب يقول : فلا تحسبا هندا لما الغدر وحدها سجية نسر ، كل غانية هند
(٢) قال ابو عبيد : الفرك ان تبض المرأة زوجها وهذا حرف مخصوص به المرأة والزوج ولم اسمع
هذا الحرف في غير الزوجين [اللسان] (٣) ومن قول أحمد :

ومن خبر النواني فالنواني ضياء في بواطئه ظلام

اذا كان الشباب السكر والشيء ب هما فالجياة هي الحمام

في هذا البيت التاريخ المختصر حياة البشر .

فهذه الحقيقة : «فتش عن المرأة» هي من مقولات هذه اللغة . وقد وردت منظومة في بيتين رواهما العلامة (محمد بهاء الدين العاملي) في كتابه (الكشكول) وقد ولد صاحبه سنة (٩٥٣) وتوفي سنة (١٠٣١) والبيتان هما :

إذا رأيت أموراً منها النؤاد تفتت
فتش عليها تجدها من النساء تأت

- ٢ -

نجي الى (التفتيش عليها) :

قالت العربية الأولى : «فتشت الشيء فتشاً وفتشته تفتيشاً مثله» كما في الصحاح ومثل ذلك في اللسان والقاموس والتاج وليس فيهن في (فتش) إلا ما نقلته . ثم جاء المولدون فقالوا :

١ - فتشت عنه : سألت واستقصيت في الطلب كما في المصباح^(١) . وفي الصحاح في (بحث) لا (فتش) : بحثت عن الشيء . وابتحثت عنه اي فتشت عنه . وطبعة الكتاب غير مشكولة ، وقد شدد الفعل في طبعة مختاره . وفي اللسان في (بحث) استبحثت وابتحثت وبحثت عن الشيء بمعنى واحد اي فتشت عنه ، وسورة براءة كان يقال لها سورة البحوث سميت بذلك لانها بحثت عن المنافقين وأسرارهم اي استشارتها وفتشت عنها ، والفعل في الطبعة مشدد . ومثل ذلك في هذه المادة : (بحث) في التاج والنهاية وهذه أوردت مصدر المشدد فقالت : « والتفتيش عنها » وجاء فتشت عنه بالتشديد في شعر المتنبي في الملك كافور^(٢) :

ولكنه طال الطريق ولم أزل أفتش عن هذا الكلام ويذهب

(١) وفي المصباح . وفتشت الثوب بالتشديده والغائي في الاستعمال (٢) في [النجوم الزاهرة] حاش كافور بضاً وستين سنة ، وكانت امارته على مصر اثنتين وعشرين سنة ، منها استقلالاً بالملك ستان وأربعة اشهر ، خطب له فيها على منابر مصر والشام والحجاز واليمن ، وحمل تابوته الي القدس فدفن به ، وكتب على قبره :

ما بال قبرك (يا كافور) منفرداً بالصحيح المثل بعد السكر اللجب
بدوس قبرك آحاد الرجال وقد كانت أسود الشرى تخشاك في الكتب

٢ - فتشت فيه كما في الاساس قال: « تقول فتش ولا تفنش اي لا تسترخ
من فتش في الامر وفتش اذا استرخى ولم يجد » وقد فتشت في المعجمات القديمة
والحدیثة فلم أجد (فتش فيه) الا عند صاحب الكشاف . وباليقين أبا القاسم لم يهمل
في الاساس (بجث) حتى نجد (بجث فيه) فمكثنا هنا مثلها في (فتش فيه) والمعجمات
لم تجلب لنا الا (بجث الشيء) وبجث عنه وبجث في الارض « فبعث الله غرابا يبجث
في الارض » ولكن أبا العلماء السابقون المحققون الباحثون في العلوم والفنون
والمسائل والحقائق والدقائق الا (البجث فيها) حتى قال صاحب التاج: « وكثيراً
ما يستعمله المصنفون متعدداً بغير فيقولون بجث فيه ، والمشهور التعدية بعن كما للمصنف
- بعني صاحب القاموس - تبعاً للجوهري » والبجث عن الشيء ليس كمثل البجث
فيه . وفي نسخة اليازجي: « نجث الشيء وبجثته ^(١) وبجثت فيه وبجثت عن حاله »
أصلح الله حالنا .

٣ - فتشت عليه . كما قال ذلك الشاعر (فتش عليها) .

وقد عد العلامة احمد فارس في كتابه (سبر الليال ص ٣١٣) التعدية بعلي
عامية فقال: « والعامية تقول الآن فتش عليه » .
وجاء العلامة اليازجي من بعده مغلطاً في ضيائه (السنة ١ ص ٤٨١): ويقولون
« فتش على الشيء والصواب تعديته بعن مثل بجث ونجث » .
ثم اطلع الأستاذ داغر على ماسطره اليازجي فغلط في (تذكرته) ص ٣٢
تغليط سابقه .

وقد وجدت (فتش عليه) في هذه الكتب ، وأغلب الظن أن ليس هناك
تصحيف او تطبيع ^(٢) :

(١) اخواتنا للصريون اكثرهم لا يقولون الا بجث الشيء . وهو صحيح وبضمهم يقول طبعي وبدهي
مكان طبعي وبدهي كما قالت الرية ناسية منذ الف سنة . وقد صار كتاب من العرب الشاميين يقولون
طبعي وبدهي . اقربت الساعة . . . (٢) التطييم : الخطأ المطبعي . قلت في كلمة في البلاغ ٨
شبان ١٣٥٢ : وقد أردت ان اسمي مثل هذا قلت : لما كانت الصحيفة والصحف والسحائف والقلم
الكتاب قالوا : (التصحيف) فهل لنا - واليوم يوم المطبعة - ان نقول (التطييم) وقل من يستعمل
اللفظة في هذا الزمان للممتنين القديمين

(٣) .

- ١ - وفيات الأعيان ج ١ ص ٦٢٧ في سيرة المبرد^(١): «فقد قدامها بفتش عليه»
- ٢ - سيد الخاطر للإمام ابن الجوزي ص ٨: ولو فتشوا على مر هذه الأشياء
- ٣ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح للإمام العبقري ابن تيمية ج ٤ ص ١٤١: فلم يجدوه حتى قام عليّ بنفسه ففتش عليه
- ٤ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ج ١ ص ٧٨: وأخذ في التفتيش عليها
- ٥ - الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ١٥٥: إنما قالوا حسنات الأبرار سيئات المقربين لأن المقرب يراعي الخطرات واللحظات، وبعد ذلك من الضفوات، وبتش على هواجس النفوس، ويراقب خروج أنفاسه، ويخاف من حسناته كما يخاف المذنب من سيئاته^(٢) والأبرار لا يتدرون على هذه الحال»
- فالعربية الأولى - كما قالت لنا المعنفات التي وقفنا عليها - لم تعد (فتش) بحرف ما. ثم عداها الزمان بـ (عن) و (يفي) و (على) ولهذا الحرف الأخير من المعاني المذكورة في كتب اللغة والنحو ما يماشي الفعل (فتش) بمشي معه.
- فهل نخطئ إذا قلنا اليوم: يا قوم، فتشوا على الحقيقة ٠٠٠؟

محمد اسداف النسابي

(١) المبرد يفتح الراء لا كرها كما ظن ياقوت والسيوطي والشتيبي والرصفي.

(٢) قد ياون هذا الكلام على تفسير بيت لابي تمام اتعب المترين وصاحب [المثل السائر] وصاحب [الغنياء] يوم سأله عن صناء صاحب [الفباء] والبيت هو:

يتجنب الآثام ثم يخافها فكأنما حسناه آثام